Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أربعين ظاهرة من الظواهر التعبيرية، وردت فى أواخر آى القرآن، وتعد لونًا من ألوان المخالفة والعدول عن نظام اللغة العربية، وقد ركّز على إبراز الدور الإيقاعى لتلك الرخص، والتناسب الصوتى الناتج عنها دون أن يقف إزاء آية من الآيات التى استشهد بها، وعددها سبع وستون كى يبيّن فى فاصلتها وجهًا آخر سوى مراعاة المناسبة،(١) واكتفى بالإشارة إلى إمكان اضطلاع تلك الرخص بأدوار أخرى فضلا عن المناسبة؛ إذ يقول: "لا يمتنع فى توجيه الخروج عن الأصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم كما جاء فى الأثر لا تنقضى عجائبه".(٢)

وذلك الاتجاه الذى جعل الترخص فى الفواصل للحفاظ على الإيقاع، قد لقى ذيوعا فى التراث، واهتم به نقّاد معاصرون، رددوا فى دراستهم للفاصلة القرآنية مقولات الفرّاء وابن الصايغ وغيرهم. أما الفريق الثانى فإنه يعترض على مذهب من قالوا بمراعاة الفاصلة، ومن هؤلاء "ابن قتيبة" الذى راح يزدرى مذهب الفراء فى القول بالترخّص لتناسب الفواصل، حيث يقول: "وهذا من أعجب ما حمل عليه كتاب الله، ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسُّف، ونجيز على الله -جل ثناؤه- الزيادة والنقص فى الكلام لرأس آية"(٣). فثمة نكتة موجبة للترخُّص حاول "ابن قتيبة" أن يتابعها جاعلاً منطقة التساؤل الآتى: كيف يمكن أن تمت هذه الرخص إلى المعنى نفسه بصلة؟ "فالتناسب الشكلى بين الفواصل ليس إحدى الغايات التى تقصد لذاتها فى البيان القرآنى"(٤) يقف دليلا على ذلك وجود مواضع خالف النص فيها المناسبة الإيقاعية بين الفواصل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿... وما جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ

---

(١) أحكام ابن الصائغ قد تختصر إلى نصف ما أحصاه، ذلك أن تعامله مع وجه إعرابى واحد، ألقى بكثير من الشواهد فى حيّز الترخُّص.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى، جـ٣، ص ٢٩٦.

(٣) تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥، ص ٤٤٠.

(٤) نظرات فى تراثنا البلاغى، حسن طبل، ص ١١٦.